

صل من أجل

انحنى على الطفلة بعوده المفتول ، واستقبل جبينها المرح
يودعه قبله طويلة وهى موشكة أن تنام .

ولامست أنفاسه وجهها ، فطوقت عنقه بساعديها ،
وهبطت على وجنتيه تلثمهما فى حرارة وإصرار ، مفضية بما تكن
لعمها من محبة وإعزاز ، فلم يسعه إلا أن يضمها إلى صدره
ضمة اشتياق ، واستغرقا على هذا النحو فى عناق جياش .

وما إن دار على عقبه ينأى عن السرير ، حتى استنكرت
منه الطفلة فى مهدها ذلك الفراق العجول .

وتشعثت حركاتها ، وكثر شغبها ، فغشى الفراش فوضى وكأن
ما تناثر من أغطيته ، وتبعثر من أرديته غوارب موج علت بها ثائرة
الريح ، فانكب العم على السرير يصلح من أمره ويسوى حواشيه .
لم يرغب عنه وهو يسجى الطفلة من جديد أن يدمث لها
الوسادة كى يستوى رأسها فى وضع مريح ، فتنام ساكنة البال
قريرة العين ، ثم بسط الغطاء يدثرها به خشية أن يصيبها من برد
الليل أذى .

وسرعان ما عدل قامته ، وأدار ظهره ، ملتمساً في خطاه
البهو الكبير .

بيد أن الطفلة لم تهدأ لها حركة وتمادت في غيها تصخب .
وفطن العم إلى ما تبغيه الطفلة : إنها لم تقصد من وراء عملها
هذا إلا المماطلة والتسويق ليمتد اللقاء فلا تشق إلى النوم من طريق .
وحين استدار العم على عتبيه يواجه الطفلة ، تصنع
الغضب ، فأكسب ملامح وجهه سماء الجلد والحزم ، وكذلك
شحن حنجرتة ، في سعة عالية اخرج صوته الخزيل ، جهورى
الجرس ، يوقع في روعها التخويف والترهيب ، وهو يصرفها عن
غيها المأوف كلما أوت إلى الفراش تهدأ وتستريح .

ولما نطق يؤنبها ، انكسرت حدة صوته ، وملك عقيقته
رنة عطف وخلجة حنان ، وما لبثت أساريه المربدة ، أن
انفرجت يكسوها إشراق .

ليس ذلك بغريب عليه : إن إرادته الصلبة حيال الطفلة
شمعة واهنة تحترق وتذوب .

ومثل للطفلة يبتسم .

بيد أنه ألغى عاقدة الحبين ، زاوية ما بين حاجبيها ،
ترميه بنظرة يتجلى فيها أسف وعتاب ، فجلس على حافة السرير

يداعب وجنتها بقبلة خاطفة ، وقد احتوى يدها الصغيرة بين
كفيه ، وانبعث يخاطبها في وداعة يقول :

كفالك عناداً يا طفلى . . . مكثت معك أكثر مما
ينبغي . . . لا أود أن أكون سبباً فيما ينشب بينك وبين أمك من
لوم وتعنيف . . . دعى الليلة تنقضى فى سلام . . . هيا . . .
عليك بالنوم . . . أعدك إن شاء الله أن يكون بيننا فى غد القاء .
وهم واقفاً يخلى حافة السرير .

فتعلقت به الطفلة تغمغم فى صوت محزون :

لا تتركنى . . . ابق معى . . . أنا خائفة .

وراع العم ما سمع ، وطفق يمسح على رأسها بيده ، ويلعب
خصلات شعرها الخصب ، متبسّطاً فى الحديث يسألها :

وما سر خوفك يا طفلى ؟

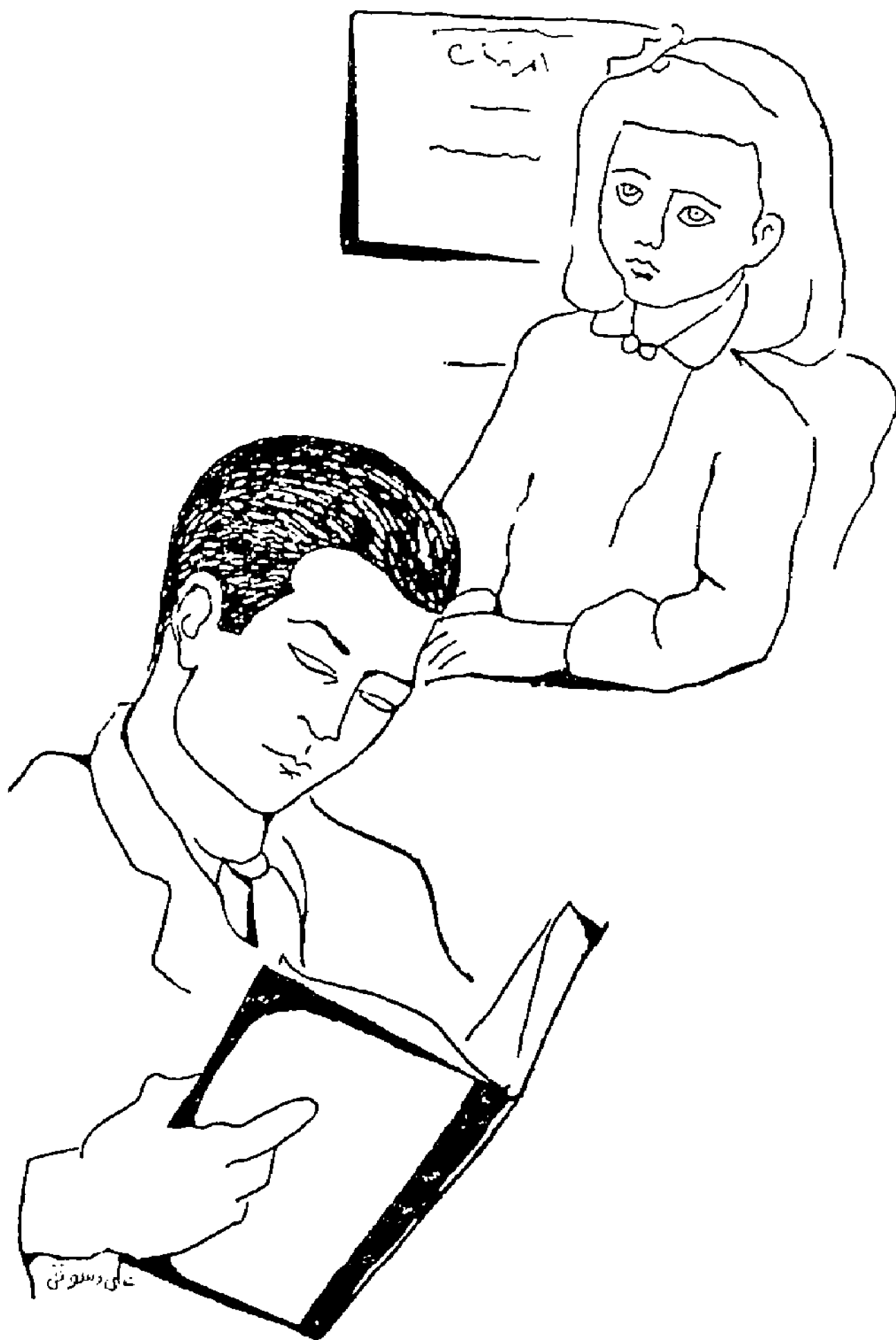
وأطبقت الطفلة على يده وقد استبانت على محياها ظلال
امتقاع ، وهى تقول :

فى غد يكون الامتحان .

— أو هذا سر اضطرابك يا بنية ؟

وأومأت الطفلة برأسها تؤكد قوله مسبلة الجفنين .

وافتر ثغره عن ابتسامة وهو يبادرها بقوله :



خيال ما تتوهمين . . . يوم الامتحان لا يخيف . . . ليس
 فيه ما يعكر الصفو . . . ستجدين فيه ما تألفينه في كل يوم :
 أنس من أترابك وحفاوة من مدرساتك ومدرسيك .
 يا للحجة الداحضة ، ويا للمنطق السقيم !
 زعم باطل ذلك الذى ساقه من قول .
 لا ريب أن الامتحان ظله ثقیل وموقفه بغیض .
 لطالما انتابه منه فزع مروع وهلع مستطير .
 أو ناسٍ هو ؟

ألم يسعد الليل بطوله خاوى البطن ، محموم الأوصال ، وفي
 خياله منظر المدرس منتفخاً على مقعده وكأنه ضرغام جسور
 يحدجه بالنظر الشرر ، وما أسئلته إلا أنيابه المسنونة تهشه نهشاً ،
 فيقف منه ، واذلاه ، يابس الفم ، متخشب اللسان ، لا يحسن
 إلا الفأفة ، وهو يتخبط في أجوبة طائشة .

فلماذا يألف نفسه الساعة مسوقاً إلى تضليل للطفلة وتغريز ؟
 وانتبه العم على صوت الطفلة تناديه ، فالتفت إليها يقول :
 هل من جديد ؟

فرققت الطفلة من صوتها وهى تعابث حاشية الغطاء :
 لى عندك رجاء .

— مطلبك على العين والرأس .

— صلّ الليلة من أجلى . . . ادع الله أن يلهمنى الصواب
فيما أكتب وأجيب . . . إني بك متفائلة وبدعائك مستبشرة .
— لك ما تبغين يا صغيرتى .

وانحنى على الطفلة يقبل جبينها قبلة خاطفة ، وراح فى
خطاه يتوخى باب الحجرة ، ولكن صوت الطفلة ناداه يستوقفه
قبل أن يدير مقبض الباب وينصرف ، وسمعتها تقول :
سهوت عن أن ترقينى على مأوفا عادتك قبل أن أنام .
وكر العم راجعاً إليها ، ومر بيده على رأسها هامساً برقيته .
واستشعرت الطفلة راحة تسرى فى أوصالها ، واستسلمت للنوم .
وزايل العم الحجرة يحاذر فى خطوه ، ومن ثم ترك المنزل
ليلتقى بالطريق ، فصافح وجهه نسيم رطب عطر .

وتحيرت قدماه : إلى أين تسعيان .

وتطلع إلى ساعته فألقى الليل قد توغل ولا أمل له أن يذهب
إلى منتداه المفضل يستمرئ فى صحبة الرفاق وقت مؤانسة وصفاء .
ومكث غير قليل لا يعى ماذا يصنع .

ما باله يستشعر أن فى دخيلة نفسه ما يشبه حجراً ثقيلاً
يعوق انطلاقه فى تلك الأمسية التى رق هواؤها ورطبت أنفاسها .

وتريث في وقفته يبسط أوصاله ويضمها مستعيداً نشاطه المألوف .
وبعد لأي ضرب يديه في جيبي سرباله وأطلق العنان لقدميه
لا يعرف لخطواته قصداً ولا وجهة .

وعرجت به خطاه في طوايا الطريق على ضفة النيل ، فظفر
به يسبح في لجة من فضة ، نامياً على صفحته القمر مكتمل
التألق والبهاء ، فعقد ذراعيه على صدره وقد تاه في أجواز الخيال .
ما لتلك الطفلة تخوض في شأن صلاحه وتقواه تهرف في
الحديث بما تجهل ؟

من يكون هو في تقديرها لتطالبه بالدعاء ؟
ألمجرد عبادة وصلاة يصبح قدساً من طهارة وقبساً من نقاء ؟
الصلاة ما هي إلا مظهر ، تكليف واجب الأداء ،
لا يتكيف بها حكم على إنسان .

إن الطفلة لا تعرف من حقيقة أمره إلا مجرد طلاء ، شأنها
شأن المتطلع إلى قبر تحليه النقوش والرموز لا يدري ما تضمه غيابه .
وما قلبه إلا غيابة ذلك الحدث .

كل ما تعرفه الطفلة أن عمها رجل سمح الوجه ، ندى
الكف ، أنيس الجليس ، ملء نفسه تقي وصلاح . . .
ولكنها تجهل أن هذا العم لم يسلم من الإثم ، ولم يكن

بالتأهر العفیف ؛ لقد وقع فی حبالة هوى غیر مشروع .
 ها هو ذا یعکف فی صومعة ضلاله ، ومحراب غوايته ، يحرق
 عقله و یذیب إرادته بخوراً يعطر ذلك الهوى الذمیم .
 لم یکن بأقل وثنية من هؤلاء الکهنة المتعبدین الذين
 یستهلكون الساعات الطوال یرددون الصلوات والتعاوید أمام دمی
 خرساء .

أثمة اختلاف بین الإحساس بالرغبة وإنفاذ المبتغی المراد ؟
 كلاهما فی عقیدته إثم یصرخ الضمیر منه ویلتاع .
 هذه المرأة التي شغفته حباً ذات زوج وولد ، وإنه إن
 التقى بها ، وما أكثر لقاءهما ، سعی إليها بالملاحظة یلتهم منها
 قدمیها الناصعتین المتوردتین ، ثم تسبح عیناه إلى الساق البديعة
 الملساء تموج فی جوربها الهفهاف ناعمة بضة ، ویعلو بأنظاره
 إلى شفتیها المکتنزتین كأنهما حبتان من کرز ناضجتان ،
 وما یزال فی تطوافه بالمفاتن مسحور العین ، مشبوب الوجدان .
 ألیست صلاته وسط هذه الزوبعة الآثمة ضرباً من الزیف
 والضلال ؟

أیحق للطفلة أن تطالبه بتوسل ودعاء ، وهو کنقد تتداوله
 الأیدی دون أن تفتن إلى زیفه ؟
 ما أكثر ما استمتع بحبه المحرم فی أحلام یقظته ورؤی نومه .

فما إن يحتويه فراشه ويغمض عينيه حتى يحسم له الوهم
صاحبه تشق الظلمة عليه وتبادره في غلالة كاشفة تماوج على
نصرها اللدن في إيقاع متزن يساير خطوها الرزين وهي تدانيه
كأنها خطرات النسيم .

وهنا ينسدل الستار على وهمه الكاذب ، فيتنبه من أحلامه
ناقماً على نفسه ، منكراً ما يطوح به خياله فيه .

لا . . . إنه لن يصلى . . . هي كلمة قالها ولا مرد لها .
وصدف عن النهر مهزوم القوى ، ترنح خطاه .
وبلغ شقته .

وما إن احتوته حتى صدمته الظلمة الجاثمة في أرجائها ،
وتعثرت قدماه بما اعترضه من أثاث ، فازداد ضيقاً على ضيقه ،
وانبعثت من حلقه كلمات التأفف والاستنكار ، وعجل إلى زر
الكهربا يطلق الإشراق من معقله فخرج النور يهزم جمحافل الليل .
وقصد ، على الفور ، حجرة نومه يستبدل بملابسه منامته
الرحراحة ، ويستكمل زينة المساء ، واكنه عزف عنها وما زال
مكتمل البزة قاصداً مكتبته يتردد إلى مجلداته وأسفاره ، فلم
يرقه عبوس الكتاب وهو قائم في صوانه خلف البلور الشفاف ،
ففرع إلى حجرة الجلوس ، وعرك مفاتيح المذياع ينطقه ،
بيد أنه ما أبطأ أن أسكنه ، ومضى إلى البهو الفسيح ، وهكذا

أخذ يحوم في الحجرات مثل النحلة الدؤوب ، تضيق به
رحبات شقته ، دون أن يركن لمقعد أو يخلد إلى ركن ، يصيب
عنده طمأنينة البال .

يا لله . . . الطفلة ما فتئت تطارده حيث حل ، وتطالبه
في ضراعة بالنجدة والغوث .

كيف تتمم شفتاه بدعوة ، وكيف به يجهر بصلاة .
أليس هو الآثم الأكبر : ما رعى خلقاً ولا فضيلة ،
وما كان ممن تحتفى بأدعيتهم أبواب السماء .
وامتدت يده إلى عنقه تفك عنها رباط الرقبة ، ثم عمد إلى زر
بنيقته يفتحه .

ونحطاً إلى النافذة يملأ رثتيه بالهواء بعد أن تخفف من
سترته ، وشمر عن ساعديه . .
وشعر بشيء من الراحة .

بيد أن حلقه يابس يطلب جرعة ماء .
وذهب إلى المستحم ، وقابلته المرأة ، فمثل يتوسم وجهه وكأنه
ينظر إلى شيء بغیض يمجّه ويكرهه .

أنضح وجهه بما طوى عليه صدره من غواية وضلال ،
فانطبع على المرأة يشوه إهابها المصقول ؟
كفاه تحديقاً إلى شبحه المستوم .

فليعمد إلى الماء يبل به ريقه ويمسح وجهه ليعيد إلى شحوبه نضرة الحياة !

وانبسطت كفه إلى صنبور الماء تدير مقبضه ، فانبتق الماء يفور في الحوض ويمور ، بيد أن كفه بقيت ساكنة لا تمتد إليه .
متى كان الماء يمحو ما اصطبغ به وجه إنسان من خبث ولؤم وضلال ؟

أفي مقدور رذاذ أن يغسل المأثم ، ويظهر ضمائر العصاة ؟
يا الله ، لكأن خرير الماء عبارات الطفلة تنال عليه واضحة النبرة ، جليلة الجرس ، تحته أن يجهز نفسه بالوضوء ليشرع في الصلاة والدعاء .

لا وضوء . . . ولا صلاة . . .

عليه أن يرد الماء عن مجراه ، وينصرف عن المستحم ، مسارعاً إلى فراشه ينشد فيه الأمن والسلام .

واندفعت يده إلى صنبور الماء تريد حبسه ، وما هي إلا أن أحس بالماء يغمر فمه ، ووجهه وقدميه ، فما نشب أن رام المستحم إلى حجرته ووقف يتحرى القبلة ويستقبل وجه الله .

ونخطرت له في صلاته توسلات الطفلة أن يدعو لها ، فإذا هو ينخرط في دعاء وتضرع وابتهاال ، سائلاً لنفسه هو دون سواه العفو والغفران .

الخاتمة

كان جالساً خلف مكتبه ، فى الحجرة التى اختارها لنفسه
من ذلك المنزل الرشيق ، الذى استأجره على أرباض المدينة ،
حيث تنكمش الحركة ، ويسودها السكون ، فجعل منه مثابة
الإلهام ، ومنزل الوحي .

لم يألفه صباح اليوم ، متفتح النفس ، على مألوف عاداته ،
بل هو جامد الملامح ، مربد الوجه ، يستغرق فى تفكير ،
وقد انكب على أوراقه ، يشغل بها نفسه فى تدقيق وتمحيص ،
ملتصماً لقصته الروعة والسمو .

ما لها تتعاصى على قلمه وتتأبى على فهمه ، منذ حين ؟
أيرجع إجداب فكره ، وجفاف قريحته ، لما أفرط فيه من
سهر فى مغنى « الفن الرفيع » بصحبة « أمينة مكتبه » الحسناء ؟
إن عقله اليوم مشئت عليل ، لا يجود له إلا بتافه من
الخواطر ، وفج من الأفكار .

عليه أن يدبر نهاية لقصته ، ولا بد أن تكون مثيرة عامرة

بالحيوية والانتفاض ، وها هو ذا قد وقف قلمه حائراً ، يظن
 بما يطمع فيه من حبكة موفقة ، وختام مشير .
 ودانت يده إلى لفافة تبغ ، أشعلها ثم اشتبك مع أوراقه
 في عناد ، يعتصر ذهنه ، ويجمع شوارد خاطره ، وكأنه يسوق
 قلمه الشرود سوقاً إلى ما يرغب فيه ويريد .
 وتمثل في مخيلته طيف « أمينة مكتبه » الحسناء وملك فكره
 أمرها .

أتراها تستهويه لأنها تأنس به ، وتجذب عليه بما تحمل
 بين جوانبها من قلب كبير ؟
 أم لأنها تدنى منه منال الوحي ، وتعينه في ساعة الإلهام ؟
 أفوق مستطاعه أن يزاول عمله بمفرده ، في صحراء خواطره ،
 ومتاهة أفكاره ؟

وحانت منه التفاتة إلى ساعة احتلت من مكتبه ركناً قبعت
 فيه ، وكأنها الراصد المنتظ ، يحصى عليه وقت العمل ومدة
 الإجهاد .

فحدجها عاقد الحبين يتعرف !
 وهز كتفيه ، يبرطم ، حين لاحظ أن النهار أوشك
 أن ينتصف .

وانكب على أوراقه ، يعاود المطالعة والتفكير ، بيد أنه لم
يخطط في عالم الرؤى خطوة يتصيد بها ما ند من خواطره ،
وشرد من أحاسيسه

سحقاً لذلك اليوم المنحوس .

لا بد أن تكون « أمينة مكتبه » قد حضرت ، وأنها
— لا شك — في انتظار غمزة الجرس ، لتقبل عليه كشأنها معه .
أيدعوها الآن ، ولم يخطط قلمه منذ الصبيحة الباكرة جملة
صافية ، أو فكرة عالية ؟

وتطاول له رأس الجرس ، من بين كومات الأضابير ،
يختنق بها مكتبه ، يدعوها إلى غمزه ، فتطلع إليه ، ويده تقبل
عليه وترتد ، وقد اعتصر جبهته ، فاستبان على ثنايا التجاعيد ،
تكشف عن تحير وإحجام .

وجذب من لفافته أنفاساً طويلة ، ثم هز منكبيه ، ينصرف
بأنظاره عن رأس الجرس .

لا . . . ان يدعوها . . . ليعالجن مشكلته بنفسه ، دون
معونة أو إرشاد .

ان يناديها حتى تختمر في رأسه الفكرة ويسلس له عنان
التعبير ، لكي لا يكون لها من مهمة ، إلا أن تسمع من فمه

ما يتدفق به من قول ، فتدونه على الورق كالألة الصماء .
 واستأنف يحمل عينيه على القراءة ويلقى بفكره فى أودية
 الأخيلة والتصورات مستبطناً سر الموقف القصصى الذى التوى
 عليه .

أما « أمينة المكتب » الحسناء ، فقد كانت فى حجرتها
 المجاورة ، خالية إلى نفسها ، مستغرقة فى تفكير ، فمذ وفدت
 على المنزل مع الصباح الباكر ، وهى تتحين لقاءه ، لعلها
 تظفر بنجیئة نفسه ، وما ينحنى عليه صدره من أنباء حالیه ،
 وأخبار تتلألاً بوميض آمال عراض .

لقد أنبأها — وهما مجتمعان فى مسهرهما المفضل ، ليلة
 أمس — أنه ملئ الوفاض بما تسعد به وتسر ، فلما حثته على
 الإبانة والإفصاح ، أمهلها إلى غد ، وهو يلاطف يدها ،
 ويعابثها ، فى تبسط وظرف .

فلما خلت بنفسها ، فى مرقدتها ، نبا بها المضجع . ،
 وقضت ليلتها مسهدة ، لا يغمض لها جفن ، تتقاطر عليها
 مشاهد من حياتها ، منذ نجم بينهما عارف وتزامن ووصال .
 أما كيف تم بينهما التلاقى ، فقد اتصلت عراه عقب
 إعلان فى الصحف قرأته ، فتقدمت تعرض خدماتها عليه .

لقد راعها منه وجه حسن ، وقامة معتدلة ، ودمائة خلق ،
حتى إن قلبها لم يتمالك أن يخفق خفقاناً مضطرباً سرى في أوصالها ،
فكان كلا منها قلب على حدة يخفق ويرف .

كم كان حفيظاً بها حتى إنه تمادى في إكرام وفادتها ، فأفرد
لها مكاناً بجانبه ، وقدم إليها لفاقة تبغ ، فاعتذرت عنها في
أدب ، فطلب لها قدحاً من شراب الليمون ، وما عثم أن لاطفها
في الحديث ، يرفع كلفة اللقاء الجديد ، وانثنى يسائلها نتفاً
من أخبارها .

وألفت نفسها منساقه ، تجيب في غير خجل ولا تهيب ،
تروى له قصة حياتها كاملة ، فوقف منها على أنها تعيش في
كنف أم مريضة ، تتطلب منها التعهد والرعاية ، وقد توفي
والدها ، مخلفاً لها رصيلاً ضئيلاً لا يسد نفقات العيش وأعباء
الحياة ، فالتحقت — لكي تجابه مسؤولياتها — بأحد معاهد
الآلات الكاتبة تتدرب على أعمال الكتابة والاختزال ، وتلك هي
مقبلة عليه ، لتظفر منه بما يعينها على التكسب من رزق حلال .
وشيعها إلى الباب . وقبل أن يغلقه طاف بها في أرجاء
المنزل ، فاستوقفها أمام حجرة من حجراته وهو يدفع ببابها يقول :
هنا مكتبك . . . الآلة الكاتبة في انتظارك ، لكي تنجزى
بها ما تراكم من عمل .

كادت تنفجر يومئذ ، من فرط حبورها ، عندما رامت منزله ظافرة منه بكلمة الرضا عنها ، والترحيب بعملها .
وما إن استقبلت أمها المريضة ، حتى انهالت عليها في حماس ، تثنى عليه وتمتدحه ، فلم تلق من والدتها إلا التحذير والتخويف والنصح .

أليس الرجال كلهم من طينة واحدة ، ومنبت مشترك ! !
نشأوا غلاظ القلوب ، وتدربوا على أذية النساء ؟ !
ولكنها في زحمة نشوتها ، لم تعر تلك الثروة الواهية كبير اهتمام ، وأوت إلى فراشها ، ضجيعة حلم بهيج ، أذلك هو الحب الذى يصيب من أول نظرة ؟

أمستغرب عليها ، بعد هذه الليلة البهيجة ، أن تتحين لقاءه ، فى هذا الصباح متوقعة أن يتضرع جبينها بحمرة الحجل ، ويسودها - كلما تطلع إليها - ارتباك ؟
ونأمت فى الحجرة حركة ، فانتبهت تسمع ، عله يكون الجرس قد انبعث يدعوها إليه ، ولكنها لم تجد إلا صمتاً كأنما يتلصص عليها ، ويرصد منها خفايا الهواجس والأفكار .

وسمت إلى ساعة الحائط تتبين الوقت ، فإذا النهار وشيك الانتصاف ، وما هى ذى حبيسة حجرتها ، مشبوبة الوجدان ،

مقسمة الفكر ، تحين صلصلة آلة صماء !

وداخلها قلق .

ماله يبطئ عليها ؟

ألم يفطن أنها أصبحت ظله الذى يأبى أن يفارقه ؟

أغائب عنه أنها صارت خلال تلك الشهور من تلاق وتلازم ، يؤنسها منه فى تلك الحجرة سيل من مشاعر فياضة رفاق ما تتمثل لها على الورق أناساً متقدمة الحس حتى تألف معهم الحياة وتتوثق بينها وبينهم عرى مودة وإيناس .

أغائب عنه أنها قد صارت خلقه الذى صاغه وسواه فهي

وحى من صنع خياله وفكرة من فيض إلهامه ؟

إن تلك المثابة الفنية لهى المخبار الذى أذاب فى أحماضه شخصيتها الأولى ثم أطلقها منه إنساناً جديداً يعمل فى قلبه حب ويصطرع فى رأسه آمال .

الأجدر به أن يلقاها على الفور ، ويروى سمعها بما أخفاه عنها من أخبار مشرقة .

وفيا هى مستغرقة فى غمرة تلك الأفكار ، صلصل الجرس طويلاً ، فما عتم وجهها أن اكتسى بالبهجة والإشراق ، وسارعت إلى مرآتها تلتى عليها نظرة فاحصة .

لقد حانت الساعة الحاسمة ، وآن له أن يكشف النقاب
عن خبيثة نفسه .

سوف يطلق ، ساعة يلقاها ، ما في جعبته بخوراً تفوح
أطيابه ذكية ، فتنتشى بشذاه العبق ، وتأنس به .

وغابت المرأة في حقيبة يدها ، بعد أن أصلحت ما تهوش
من شعرها وأمرت على شفيتها القلم المحمر ، تعيد إليهما وجاهة
الروث .

وسرعان ما دفعت الباب الموصل إلى مكتبه ، في رفق ،
فأسفر عن وجهها البهي ، وقامتها المبسوطة ، ومنكبيها العريضين ،
لفهما إليه مطرف من حرير ، يحليه وشي متآلف جميل ،
وقد انطوى ساعداها على رزمة من ورق ، وتطاول بين إصبعين
من يدها قلم .

وتجلت عند الباب مشرقة الملامح ، متوهجة الجبين ،
بذلك اللقاء المرتجى .

وتشبثت بالمقبض تنظر إليه ، ملتمة عيناها ، منبسطة
أساريرها ، وقد تراحبت على شفيتها اتسامة متألقة ، كأنها
زهرة تختلج نشوى على عودها الرطب ، مشرقة الأكمام ،
يطالعه وجه الربيع الندى .

لكنه لم يرفع رأسه ، ولم يلتفت إليها . إنما ظل على حاله ،

يقلب الصفحات أمامه ، ويرقبها ، كأن لم يدخل عليه أحد ،
مغضن الجبين ، تتوضح على محياه علامات التزمّت والضيق . .
فلم تجد الفتاة بدءاً من أن تغلق الباب في عنف ، عكلاً ذلك
المتحجر على مكتبه ينفىء إلى نفسه ، ويتنبه إليها ، واسترسلت
تحدجه في غضب ، غير أنه تهادى في انهماكه ، منصرفاً
عما عداه ، مما زادها من تغيظ وحنق .

وكادت كلمات الاستياء تفلت منها تسائله في تحد ، عن
دواعي ذلك اللقاء الخاف ، لكنها ملكت نفسها ، وآثرت الصمت .
وما لبثت أن تخلت عن الباب ، تدلف في الحجرة في خطا
رعناء ، حملتها إلى المقعد عن كذب منه ، فتهاكت عليه غير
معنية بما تهوئ منها ، تلتهمها نار الحيرة ، وتمضها لوعة الوسواس
والظنون ، وكأن خبر الأمس المضيء ، ذبالة شمعة حاسرة
النور ، مطموسة الوهج ، في شعاع الشمس المصباحة .

لم ينظر إليها ، ثم صاح محققاً يقول :

لم أعد أحبك . . . أما فهمت بعد . . . ؟ !

واضطربت الفتاة ، وتسارعت دقات قلبها ، ثم تخرج
وجهها بحمرة قانية ، وسادها ارتباك وسهوم .

وطأطأت رأسها ، تتشاغل بأثناء ثوبها ، تخفى ذهولها
من هول المفاجأة .

أما هو ، فصدر عن المكتب عاقداً يديه خلف ظهره ،
 واستقبل النافذة ، ينظر منها وينفث دخان لفافته جزافاً ،
 فيتلوى على زجاجها ويغشاه . . .

ويظل على هذا النحو مستغرقاً في تأمل وصمت .
 غريب منه ذلك الصنيع .

إنها لم تألفه فظاً غليظ القلب على هذا النحو ، حتى إن
 الابتسامة الوضيئة التي كان يلقاها بها لم يرف لها وميض ،
 ونظراته المعبرة لم تتوضح ، وكلمة الترحيب الطيبة ليس لها في
 الحجرة صدى ورنين .

أهذا هو النبأ المشرق الذي أزمع أن يفك عنه طلاسم الأسرار
 ويبشأ إياه ؟ !

ليته كتبه عنها ولم ياوح لها به .
 إنه انقلب أفعى تسعى بين يديها ، لا يحسن إلا اللدغ
 بما اختزنه من قواتل السموم !

ما ينبغي لها بعد الآن أن يعتمل في قلبها حب وتبرق في
 رأسها آمال .

وأفاقت الفتاة على صوته الراعد يقول :

لا تنكرى سنة الحياة . . . النار تخبو . . . والثوب يبلى . . .
والحب لم يسلم من يد العناء . . . قلبي لم يعد يتسع لك . . .
إني أكرهك . . . لم أعد أحبك وأهواك . . . وجب عليك أن
تقبل الأشياء على علائها بصدر رحب ، ونفس راضية .
وما كادت الكلمات تتوضح لسمعها ، وتبلى في عقلها ،
حتى ضاقت بها الحجرة ، وكأن جدرانها سواعد غليظة العضلات
أطبقت على عنقها تعتصره اعتصاراً ، وأن ما يحيط بها من فضاء
هو جب سحيق المهوى ، حاسر الضوء ، مختنق الهواء .
فامتقع وجهها ، وتسارعت أنفاسها ، وكدت في الأوراق ،
على ركبتيها ، فتشتلت لها غوارب موج ، تمر أعماقها بسوالف
الأحداث ، ومواضي الذكريات .
لم يسعها إلا أن تتذكر تلك الليلة التي قضياها على أرباض
المدينة الساجية ، في نزهة خلوية ، على ضوء القمر .
ألم يفتح لها قلبه ، وينفض بين يديها جعبته كطفل التقي
بالصدر الحنون ، فاسترسل ينفث فيه رغباته وأمانيه ؟ !
لقد اندفع يشق غلائل الضباب ، الذي يكتنف المستقبل
المبهم ، صاروخاً منطلقاً إلى أعلى يرتاد مجاهل السماء ومطوى
الغيوب .

كان وهماً جميلاً ذلك الذى صورهِ ورعاه .
 إنه هياً لها فيه مكاناً شغلته . . . بل كانت هى الشمس
 التى تحف بها أفلاك وأقمار .

سوف تصبح رفيقة أسفاره ، وحليقة أفكاره ، ترصد له ،
 وتدون ما يحتاج فى نفسه من تجارب واستجابات للحياة والأحياء .
 سوف يطيران إلى بلاد الفن الخالدة ، يستقبلان ربوع
 أسبانيا المشرقة ، وإيطاليا الضاحكة ، وسويسرا المهندمة ،
 وألمانيا المجدة ، وفرنسا اللاهية اللعوب .

سوف يتخطى بها ومعها أدبه حيزه الضيق لينطلق إنسانياً
 متطوراً ، يكتب له فى سماء الفن العالمى السمو والخلود .

لماذا حدثها ذلك الحديث المستفيض وهو قريب عهد بها ؟!

لماذا كان يملأ قلبها بالأمانى الرطاب ، والأخيلة العذاب ؟ !

أعزب عنه أن قلبها بالحياة حنى كالأرض البكر ، سرعان

ما تنتضر وتخضر ، إذا أتيح لها زرع ورى ؟

وسمعه يتهد تنهدة جياشة ، فاشترأبت بجسدها كله إليه ،

وإذا به ما زال إلى الناقذة رانياً ، يوايها منكبيه عاكفاً على صنمته ،

غارقاً فى تأملاته .

فما لبثت أن تهاوت بقوامها على المقعد متخاذلة ، وألقت

برأسها على مسنده ، وقد أمسكت بالقلم تقرض أطرافه في تغيظ .
 كم ودت أن تكاشفه ساعة أسدل على منكيها ذلك
 المطرف الموشى ، بما يعتمل في نفسها من مشاعر جياشة ،
 لكنها سكنت ، لا تملك إلا أن ترنو إليه ، وترنو مشبوبة
 العاطفة ، مضطربة الوجدان .

أما هو فلم يتفوه بكلمة . غير أنه ضغط يدها ، وضغط
 حتى آلمها ، ولكنه ألم أشعرها بالحب وغمرها بالسعد .
 كم كانت تواقه أن تهمس له من أعماق قلبها : ألم تدرك
 بعد أن بجانبك مخلوقاً يفهمك ويقدرك ويدوب عطفاً لك
 ومودة ؟

ما أروعه من يوم ، عندما خلط بين اسمها واسم النجم
 اللامع في روايته ، فأخذ يسكب في سمعها كلمات الهوى والغرام ،
 لا يحده في انطلاقه حاجز ، ولا يوقف تياره مانع . كتلك
 الأقمار الصاعلة من الأرض لا تملك إلا أن تدور مشدودة
 إليها بما للجاذبية من سلطان .

ليته لم يعتذر لها عندما تبين الخطأ .

ليته تركها واهمة تحسب الخطأ حقيقة صادقة .

لماذا لم يستقبلها بوجهه ساعة ضمها الحجرة إليه ؟

لماذا بقي نافرأ يوليها ظهره ؟
 أجبني أن يواجهها خوفاً من أن يابن قلبه ويرق ؟
 أعلى هذا النحو يختتم حلمها القصير معه ؟
 إنها لا تحتمل . . . أعصابها مرهقة إلى حد التخاذل
 والإعياء .

يا لها من غمام قاتمة تلك التي تغشى سماءها الصافية !
 ويخرج هو عن صمته ويقول راعش الصوت :
 علينا أن نفصل في هدوء . . . ليكون فصالنا بمنأى عن
 زوابع النشيج والبكاء ، وشوائب التبكيت والعتاب . . . الحياة
 معك فقدت رونقها الجميل وطعمها الحلو . . . عليك
 بالرحيل . . . مبلغ من المال يعوضك ما لحق بك من
 ضرر . . . لم أعد أحبك . . . وإني على يقين من فطنتك
 وذكائك . . . لا تجعل المهمة عسيرة عليّ . . .
 واهتزت الفتاة كأنها استهدفتها لكمة عنيفة ، وغلى الدم
 في رأسها ، ثم ما لبثت أن انفجرت واقفة تصيح :

كفى . . . كفى . . . لقد جاوزت الحد . . . إنك جامد
 كالصخر ، متغير كالهواء ، متقلب كالبحر . . . إنك قاس
 وخشن لا تعيش إلا من نفسك ولنفسك . منذ الآن لن أقف في

سبيلك . . . سأختني من حياتك . . . سأكون خيالاً في
ضباب فنك ، وفكرة في سماء إلهامك إن بقي لك إلهام وفن . . .
الوداع . . . الوداع إلى الأبد . . . إني أمقتك . . . أمقتك . . .
أكرهك من أعماق قلبي .

وهرولت الفتاة خارجة يستبد بها نشيج ، وتخنقها عبارات ،
وقد قذفت المكتب بالقلم ، ودفعت بالورق فتناثر على أديم
الحجرة كأنه فئات قلبها الكسير .

واندفع هو يقول في حماس :

رائع ذلك . . . موقف مثير . . . دونيه . . . لا تسقطي
منه حرفاً . . . رائع . . . مرحى . . . مرحى . . . خاتمة فيها
ولا ريب الروعة والسمو .

واستدار على عقبه متهلل الأسارير ، فما كان أكبر دهشته
عندما التفت بمقعدها خالياً بنفسه ، وقد انسدل عليه مطرفها ،
وكأنه يحدجه في أسف وذهول .

وران على « رب الحجرة » سهوم ، ثم اندفع نحو الباب ،
وانطلق في مختلف الأرجاء مردداً اسمها في صوت جهورى
ملهوف !